الفَصْلُ الخَامِسُ

عقيدتنا في الصحابة

على عقيدتهم بنيتُ عقيدتي وعلى محبتهم فتقتُ لساني

أقفو طريقتهم ونهجي نهجهم دومًا وأبرأ من أخي كفران

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

عقيدتنا في الصحابة

إن معتقد أهل السنة هو الحق والوسط، وما سواه زيغ وضلال وشطط.

هذه العقيدة الأصيلة سوف تظل قوية وشامخة، سوف تظل ظاهرة قاهرة بإذن الله وبوعد الصادق المصدوق رسول الله ﷺ. فقوتها هي قوة الحق، وهي قوة الإسلام، الذي جاء به رسول الله ﷺ ومهما اشتدت ضراوة الفتن، واشتعلت نيران الحملات التترية الغاشمة على أصول الإسلام، ومهما كانت هذه الحملات خبيثة مقننة يخطط لها بمكر ودهاء فإنها سوف تذوب في دائرة النسيان ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ها هي القنوات الفضائية تمطرنا بوابل من الشبهات الحاقدة المغرضة التي تنال من أصول الإسلام ومعالم الإسلام في حرب همجية بربرية وقحة وإن زعمت لنفسها أنها تحتكم إلى عقل. ولكنه عقل تافه ساذج سرعان ما يتوارى إذا سمع صيحة الحق وحجته الدامغة.

إنه ينبغي لنا أن نفقه حقيقة هذا العداء للإسلام، وأن نفقه طريقة رده ودفعه.

ويجب على كل مؤمن صادق أن ينصر الحق وينشره، ويؤيده ويظهره بالكلمة الحكيمة والحجة الناصعة والبرهان الصادق لا ينبغي أبدًا لصوت الحق أن يسكت وأنتم صوت الحق وأنتم أنصار الحق وحملته في هذا الزمان.

إنه متى تخاذل عن الحق أهله ولم يسمع له صوت يجلجل في جنبات الكون بنصرته فإن الباطل سوف يظل يعوى بترهاته وسخافاته فيشوش على الناس دينهم، ويجرهم إلى ويلات الانحراف عن المعتقد الصحيح السليم المستقيم.

obeikandl.com

أما إذا حصنت الديار المسلمة بالعلم والفهم فإن سهام الباطل لن تجد لها مكانًا إلا نحر الباطل ذاته، ولن يزيده هجومه إلا حربًا لذاته وسحقًا لوجوده حتى يتلاشى ويذهب غير مأسوف عليه.

إنها كلمة أقدمها قبل سرد عقيدة أهل السنة في الصحابة لكي نقف على حقيقة الكيد الذي يضمره الروافض وغيرهم من طوائف المبتدعة ليجوسوا خلال الديار.

فعلينا أن نتعلم هذه العقيدة وأن ننشرها. فنصْرُها في نشرها، وتعليمها نوعٌ من المجاهدة المتاحة المطلوبة في هذا الزمان.

وإلى سرد هذه العقيدة المباركة السديدة.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان(١).

هذا هو ملخص اعتقادنا في الصحابة وسوف أذكر ذلك في نقاط محددة مدعومة بالأدلة الصحيحة الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام العلماء الربانيين.

١- الصحابة كلهم عدول ثقات أثبات متقون بإجماع العلماء:

إن الذي عدَّلهم وشهد لهم بالفضل هو الله - جل جلاله - في آيات كثيرة وأحاديث شهيرة سبق ذكر بعضها.

ومنها قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

(1) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي تحقيق الشيخ مصطفى العدوى [ص:٤٦٢].

قال شيخ الإسلام: الرضا من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا. ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا.

فكل ما أخبر الله أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك(١).

قال أبو محمد ابن حزم: فمن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحدٍ التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة(٢).

قال الإمام السيوطي: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به(٣).

قال ابن عبد البر: الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات. وهذا أمرٌ مجتمعٌ عليه عند أهل العلم بالحديث(٤).

قال ابن الصلاح في مقدمته: والأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم كذلك بإجماع من يعتد به في الإجماع وإحسانًا للظن بهم، ونظرًا لما تمهَّد لهم من المآثر. وكأن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة(٥).

---

(1) «الصارم المسلوم» [ص:٥٧٢-٥٧٣].

(2) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم [٤/ ١٤٨].

(3) «تدريب الراوي» [٢/ ١٢٤].

(4) «التمهيد» [٢٢/ ٤٧]، و«الاستيعاب» [١/ ٨٠].

(5) «مقدمة ابن الصلاح في مصطلح الحديث» [ص:٢٨٧].

قال الدكتور الطحان في «تيسير مصطلح الحديث»: والصحابة كلهم عدول سواء من لابس منهم الفتن أم لا وهذا بإجماع من يعتد به.

ومعنى عدالتهم أي: تجنب تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها. فينتج من ذلك قبول جميع رواياتهم من غير تكلف في البحث عن عدالتهم. ومن لابس منهم الفتن يحمل أمره على الاجتهاد المأجور فيه لكل منهم تحسينًا للظن لأنهم حملة الشريعة وخير القرون(١).

الحكم لهم بالعدالة لا يلزم منه العصمة يقول الوهيبي - حفظه الله -: «واعتقادنا بأن الصحابة كلهم عدول لا يلزم منه العصمة؛ فالعدالة استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعًا حتى تحصل ثقة النفس بصدقه»(٢).

ومن الأمور التي تدل على عدالة أصحاب النبي ﷺ بشكل مجمل وعام ما قام به أهل العلم من تمحيص الروايات التي رواها أصحاب النبي ﷺ فما وجدوا صحابيًا كذب كذبة واحدة على النبي ﷺ، بل مع انتشار البدع في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم كبدعة القدرية والشيعة والخوارج لم يكن صحابيٌ واحد مع أولئك القوم أبدًا، وهذا دليل على أن الله اصطفاهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ (٣).

---

(1) «تيسير مصطلح الحديث» [ص:١٩٨].

(2) «اعتقاد أهل السنة في الصحابة» د. محمد بن عبد الله الوهيبي [ص:٩٣].

(3) «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس [ص:١٦٠] ط. دار الإيمان.

obeikandl.com

٢- الصحابة كلهم من أهل الجنة:

واستدل العلماء على ذلك بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] وبهذا استدل ابن حزم كما سبق في ذكر فضائلهم رضي الله عنهم.

قال الإمام السيوطي في الدر المنثور: وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي رضي الله عنه: أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن.

فقال: إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟

قال: ألا تقرأ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أوجب الله لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان.

وشرط على التابعين شرطًا لم يشترطه فيهم. قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان(١).

---

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للإمام السيوطي [٣/ ٤٨٥] ط. دار الكتب العلمية.

وقد قال الرسول ﷺ: «**لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»(١).

وروى مسلم عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شرَّ الرِّعاء الحطمة**» فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ فقال: وهل كانت لهم نخالة، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم(٢).

ومعنى شر الرعاء الحطمة أي: العنيف في رعيته لا يرفق بهم ولا يلين لهم.

وجواب عائذ بن عمرو رضي الله عنه في غاية الدقة والفهم والحكمة.

وسبق ذكر كلام الإمام النووي تعقيبًا على هذا الحديث، ولا بأس من ذِكْره هنا حيث يقول: هذا من جزل الكلام وفصيحه وصادقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن جاء بعدهم وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم. وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت نخالة.

٣- حب الصحابة دين وإيمان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان:

يجب على كل مسلم أن يحب من أحب الله ورسوله. وحب الصحابة وموالاتهم قربة إلى الله تجلب محبة الله ورسوله.

وهذا الحب للصحابة من الآثار اللازمة لمن كان محبًا للنبي ﷺ؛ ولذا لما سمع النبي ﷺ صوتًا لقريب ممن يحبه اهتز لذلك سرورًا.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم برقم [١٨٣٠].

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال: «**اللهم هالة بنت خويلد**»(١) فمن أحب أحدًا فإنه لابد أن يحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به.

يقول عبد الله بن صالح الخضيري:

ومما يدعو إلى توليهم ويزيد من محبتهم تذكُّر ما يلي:

١- محبة النبي ﷺ لهم وثناؤه عليهم في المجموع وفي الأفراد.

٢- شرفهم بشرف رؤيتهم ومصاحبتهم لأشرف وأفضل الخلق فقد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وأثنى عليهم في القرآن فهم أفضل الناس وخير القرون بنص كلام الحبيب.

٣- سابقتهم في الإسلام وتحملهم الأذى وصبرهم حتى فرج الله لهم.

٤- ما قدموا لله ودينه ونبيه من بذل النفس والمال والولد وشدهم من عزم الرسول وتثبيته.

٥- نصر بعضهم لبعض وكونهم كالجسد الواحد ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٦- حرصهم على نشر الدين وتبليغ سنة النبي ﷺ وتعليم الناس القرآن وانتشارهم لأجل ذلك في الآفاق.

٧- هم أعلم الخلق بدين الله بعد النبي ﷺ، وما أجمعوا عليه لا يسع أحدًا خلافه.

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٨٢١]، ومسلم برقم [٢٤٣٧].

أيـــن الـــذين بنـــار حبـــك أرســـلو ... الأنـــوار بـــين محافـــل العـــشاق

ســـكبوا الليـــالي في أنـــين دمـــوعهم ... وتوضـــئوا بمـــدامع الأشـــواق

كيـــف انطـــوت أيـــامهم وهـــم الأُلى ... نـشروا الهـدى وعلـوا مكـان الفرقـد

هجـروا الـديار فـأين أزمـع ركـبهم ... مـــن يهتـــدي للقـــوم أومـــن يقتـــدي

يـــا قلـــب حـــسبك لـــن تلـــم بطـــيفهم ... إلا علـــى مـــصباح وجـــه محمـــد[1]

فالحاصل أن حب الصحابة إيمان وهو مقتضى قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

أما من أبغض الصحابة أو أبغض واحدًا منهم فهذا من الضلال المبين والانحراف العظيم الذي يخشى لصاحبه أن يموت على الكفر عياذًا بالله.

ولهذا سبق أن ذكرنا أن الإمام مالك - عليه رحمة الله - قال: من وجد في قلبه غيظًا على أحدٍ من أصحاب محمد ﷺ فله حظ من هذه الآية ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] لأن القدح في الصحابة قدح في النبي ﷺ لأنهم خاصته وبطانته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أما الرافضة فيطعنون في الصحابة وباطن أمرهم الطعن في الرسالة[2].

وقال الخليفة المهدي: ما فتشت رافضيًا قط إلا وجدته زنديقًا.

---

(1) «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» [ص:٦٠-٦١].

(2) «منهاج السنة النبوية» [٣/ ٤٦٣].

وقال طاووس بن كيسان: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[١].

أقول: ويكفي ويشفي في ذلك قول رسول الله ﷺ في الأنصار «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[٢].

فإذا كان هذا قول رسول الله ﷺ في الأنصار فما بالك بالمهاجرين الذين قدَّمهم الله تعالى في الذكر والرتبة؟!

٤- لزوم الاهتداء بهديهم والاقتداء بهم:

فمن أخذ بهدي الصحابة الكرام كان على الصراط المستقيم والمنهاج القويم.

وقد أمر المصطفى بالاهتداء بهدي الصحابة الكرام لأن هديهم نابعٌ من هديه وخلقهم مأخوذ من خلقه ﷺ قال رسول الله ﷺ «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[٣].

وقال ﷺ: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم؛ فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[٤].

فالصحابة الكرام هم أكمل الخلق هديًا وخلقًا بعد الأنبياء والرسل، وامتدح الله أخلاقهم وارتضاها فقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

---

(1) «شرح أصول أهل السنة» للالكائي [٤/ ٤٨-٤٩].

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٧٨٣]، ومسلم برقم [٧٥].

(3) رواه أبو داود [٤٦٠٧]، والترمذي [٢٦٧٦] وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٢٣٣].

(4) رواه الترمذي [٣٦٦٣]، وابن ماجه [٩٧] وحسنه الألباني في «الصحيحة» [١٢٣٣].

وارتضى عبادتهم وأثنى عليهم بها فقال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

واطلع الله على سرائرهم ونواياهم وزكاها وارتضاها ومدحها فقال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال جلَّ ذكره: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فمنهجهم هو الأكمل والأعلم والأسلم والأقوم والأرضى لله ورسوله، ومن حاد عنه فقد توعده الله بالعذاب والنكال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فهذا هو سبيلهم وتلك هي أخلاقهم، وهم أول من عاش بهذا الدين وعليه، هم أول من عرف معاني الإيمان وصاروا صورة واقعية لهذا الدين العظيم تدب على أرض تسبح بحمد الله وتستظل بسماء تسجد لله، عاشوا على ذلك وهم على عين الحبيب المصطفى يُقوِّم خطأ المخطئ ويقر المصيب حتى ارتضى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم.

فعلى عقيدتهم بنيتُ عقيدتي ... وعلى محبتهم فتقتُ لساني

أقفو طريقتهم ونهجي ونهجهم ... دومًا وأبرأ من أخي كفران

أهل الضلالة هم خصومي دائمًا ... لا يلتقي بمحبة خصمانِ

ولكل مبتدع أقول مجلجلًا أنا صارم يفرى الرقاب يماني
أسلمت نفسى للذي برأ الورى وبرئت من شركٍ ومن طغيان
ورضيت بالقرآن والسنن التي جاءت بفهم صحابة العدناني
أستغفر الله العظيم لكل ما أخطأت فيه وزلَّ فيه لساني

٥- هم صفوة الأمة ولكن لا نحكم لهم بالعصمة:

لقد دفنت العصمة بموت المصطفى ﷺ فالصحابي قد يقع منه الذنب صغيرًا كان وكبيرًا ولكن سرعان ما يتوب الله عليه ويقبل منه التوبة. ويصير هذا الذنب لا يمثل شيئًا مذكورًا في بحار فضل هذا الصحابي، قال سعيد بن المسيب: ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب لابد، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله[1]. فإذا كان هذا الكلام يقال في عامة الناس ومن لم يثبت لأحدهم فضل بكتاب أو سنة فكيف يقال فيمن تواترت الشريعة بفضله وبذله؟!

ومن حكمة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ألا يجعل العصمة إلا لرسوله إذ لو كان الصحابة معصومين لما عرفنا كيف نطبق الحدود، وكيف نتعامل مع هذه المواقف المختلفة.

وكيف يكون تعلق العبد بعظيم عفو الله؟.

إنه من خلال هذه المواقف عرفنا ما هي سنة النبي العملية في التعامل معها: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

---

(1) «الكفاية» للخطيب البغدادي [ص:٧٩].

وهذه الغامدية يشهد الرسول بتوبة الله عليها، وكعب بن مالك ومن معه من المخلفَّين ينزل القرآن العظيم ببيان توبة الله عليهم.

قال شيخ الإسلام في الواسطية في بيان عقيدة أهل السنة:

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الإثم وصغائره. يقول ابن عثيمين تعليقًا على ذلك: لا يعتقدون ذلك لقوله ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» لكن العصمة في إجماعهم فلا يمكن أن يجمعوا على شيء من كبائر الذنوب وصغائرها فيستحلوها أو يفعلوها، لكن الواحد منهم قد يفعل شيئًا من الكبائر كما حصل من مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش في قصة الإفك. ولكن هذا الذي حصل منهم تطهروا منه بإقامة الحد عليهم(١).

إن للصحابة من الفضائل والسوابق ما يوجب لهم المغفرة من ربهم عَزَّ وَجَلَّ الذين هم أقرب الناس إليه وأحب الخلق إليه وإلى رسوله ﷺ يقول شيخ الإسلام: ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المُد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحدٍ ذهبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته(٢).

---

(1) «شرح الواسطية» لابن عثيمين [٢/ ٢٦٥] ط. دار البصيرة.

(2) «السابق» [٢/ ٢٦٦-٢٦٧].

يقول الإمام الذهبي: فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهادٌ محَّاء وعبادة ممحصة ولسنا ممن يخلو في أحدٍ منهم، ولا ندَّعي فيهم العصمة(١).

والمقصود أن كل فردٍ منهم غير معصوم أما إذا أجمعوا على شيء واتفقوا عليه فهذا يكون إجماعًا يجب على كلٍّ من الناس اتباعه.

٦- هم خير خلق الله بعد الأنبياء وإجماعهم حجة مُلزمة:

قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني**»(٢).

قال الإمام أحمد: فلا يقاس بأصحابه أحدٌ من التابعين. وقال: الأحاديث في فضل صحابة رسول الله ﷺ من الكثرة بمكان، لذا كان من الواجب أن نعرف حق أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

وقال: حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، فهم مشاعل الهدى بذلوا مهجهم في سبيل الله فمن حقهم على الأمة محبتهم والترضي والترحم والثناء عليهم(٣).

قال شيخ الإسلام: ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل(٤).

---

(1) «سير أعلام النبلاء» [١٠/ ٩٣].

(2) متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

(3) «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» [١/ ٣٩٦-٣٩٨] وهي رسالة دكتوراة تأليف د. عبد الإله بن سلمان الأحمدي ط. دار طيبة.

(4) «شرح الواسطية» [٢/ ٢٦٩].

obeikandl.com

وقد اتفق العلماء على أن إجماع الصحابة حجة ملزمة لكل من بعدهم، ومن أمثلة إجماعهم إجماعهم على خلافة الصِّدِّيق، وجمع القرآن وقتال مانعي الزكاة.

٧- وجوب الإمساك عما شجر بينهم:

قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**»(١). من منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم فالمقصود الإمساك عن ذكر ما يصدُر من أحدهم في ثورة الغضب ومن المعلوم أنه قد وقعت في أواخر عهد الصحابة فتنة قدرها الله - عز وجل - وقضاها لحكمة يعلمها وقد أخبر بها رسول الله ﷺ قبل أن تكون ومما ينبغي أن يعلم أن جمهور الصحابة الموجودين في هذا الوقت لم يدخلوا في فتنة وقد ثبت بإسنادٍ قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه أصح إسناد على وجه الأرض عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين.

ومن وقعوا فيها إنما هم مجتهدون فمن أصاب منهم له أجران، ومن أخطأ له أجرٌ واحد، وكثيرٌ ممن شارك فيها منهم ندم عليها أشد الندم، بل لقد بقيت الأخوة الإيمانية بينهم في معانيها الصادقة.

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول عنه الشعبي: لما قتل طلحة ورآه على مقتولًا جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مجدلًا تحت نجوم السماء. ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبَجري - أي: همومي وأحزاني - وبكى

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» وقواه الألباني بشواهده كما في «السلسلة» [١/ ٣٤].

عليه هو وأصحابه وقال: يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة(١).

وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه يقول: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها فقال مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنا نُبصَّر ولا نبصر وما كان أمرٌ قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر(٢).

وهذا معاوية رضي الله عنه لما جاءه نعي عليَّ بن أبي طالب جلس فقالت امرأته: أنت بالأمس تقاتله واليوم تبكيه؟ فقال: ويحك! إنك لا تدرين ما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره(٣).

ولذا كف الموفقون عن الخوض في هذه الفتنة كما ثبت عن عمر بن عبد العزيز أنه سئل عن ذلك فقال: هذا أمر أخرج الله يدي منه لا أدخل فيه لساني(٤).

قال الحافظ ابن حجر عليه رحمه الله: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا وأن المصيب يؤجر أجرين(٥).

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وقتل مظلومًا وقتلته فسقة لأن موجبات القتل غير مضبوطة ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ولم

---

(1) «سير أعلام النبلاء» [١/ ٣٦].

(2) «تاريخ الطبري» [٤/ ٤٧٦].

(3) «البداية والنهاية» [٨/ ١٥].

(4) «السنة للخلال» [١/ ٤٦].

(5) «فتح الباري» [٣/ ٣٤].

يشارك في قتله أحدٌ من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف والأراذل تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه، وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته لا خلافةً لغيره وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضي الله عنهم.

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم متأولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد[1].

٨- بعضهم أفضل من بعض:

الصحابة يتفاوتون في الفضل فأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم بقية العشرة ثم أهل بدر، أفضل الصحابة أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي ابن أبي طالب ثم بقية العشرة قال الإمام السيوطي: أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما بإجماع أهل السنة ثم عثمان ثم علي وهذا قول جمهور أهل السنة.

وقال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر ثم أحد، ثم أهل بيعة الرضوان. وممن لهم مزية أهل العقبتين من الأنصار والسابقون الأولون.

قال الإمام النووي:: وممن حكى الإجماع على ذلك أبو العباس القرطبي وكذلك

(1) «شرح النووي» على مسلم [٨/ ١٦٥-١٦٦].

حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين على ذلك[١].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا نحدث على عهد رسول الله ﷺ أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره[٢].

وقال عمر رضي الله عنه لأبي بكر: بل نبايعك أنت؛ فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[٣].

وروى البخاري عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر؛ وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٤].

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**» قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**» فعدَّ رجالًا[٥].

قال الحافظ الذهبي في السير: وهذا خبرٌ ثابت رغم أنوف الروافض، وما كان النبي ﷺ يحبُّ إلا طيبًا وقد قال ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا من**

---

(1) «تدريب الراوي» [٢/ ١٢٨]، و«شرح النووي» على مسلم [٨/ ١٦٥].

(2) رواه أبو داود [٤٦٢٨] وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم برقم [١١٩٣].

(3) رواه البخاري برقم [٣٦٦٧].

(4) رواه البخاري برقم [٣٦٧١].

(5) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٦٦٢]، ومسلم برقم [٢٣٨٤].

هذه الأمة لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام أفضل» رواه البخاري.

فأحب أفضل رجل من أمته، وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حريٌّ أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله[(١)].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قومٍ فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كنت كثيرًا ما أسمع رسول الله يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. فالتفت فإذا علي بن أبي طالب[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحمد لله رب العالمين، أما تفضيل أبي بكر ثم عمر على عثمان وعليَّ فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم. قال: وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: ما أدركت أحدًا ممن أقتدي به يشك في تقديم أبي بكر وعمر.

ثم ذكر شيخ الإسلام أدلة على تقديم عثمان على عليَّ رضي الله عنهما ثم قال: وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على عليَّ فلهذا قال أيوب وأحمد بن حنبل والدار قطني: من قدَّم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني

---

(1) «سير أعلام النبلاء» [٢/ ١٤٢].

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٦٧٧]، ومسلم برقم [٢٣٨٩].

ومَن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم[١].

وقال الشيخ حافظ حكمي في سلم الوصول:

وبعده الخليفة الشفيق ... نعم نقيب الأمة الصديق

ذاك رفيق المصطفى في الغار ... شيخ المهاجرين والأنصار

وهو الذي بنفسه تولى ... جهاد من عن الهدى بالصواب تولّ

أعني به الشهم أبا حفص عمر ... مَن ظاهر الدين القويم ونصر

الصارم المنكي على الكفار ... وموسع الفتوح في الأمصار

ثالثهم عثمان ذو النورين ... ذو الحلم والحيا بغير مَين

بحر العلوم جامع القرآن ... منه استحت ملائك الرحمن

بايع عنه سيد الأكوان ... بكفِّه في بيعة الرضوان

والرابع ابن عم خير الرُّسْل ... أعني الإمام الحق ذا القدر العلي

مبيد كل خارجيٍّ مارق ... وكل خِبٍ رافضٍ فاسق

من كان للرسول في مكان ... هارون من موسى بلا نكران

ولا في نبوة فقد قدّمت ما ... يكفي لمن مِن سوء ظن سلما[٢]

---

(1) «مجموع الفتاوى» [٤/ ٤٢١].

(2) وذلك قوله:

وكل من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذبٌ فيما ادعى

فالستة المكمِّلون العشرة ... وسائر الصحب الكرام البررة

وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعيه السادة الأخيار

فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان

في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال

كذاك في التوراة والإنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل

وذكرهم في سنة المختار ... قد سار سير الشمس في الأقطار[1]

يقول الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة: إن المؤمنين الذين صحبوا الأنبياء واقتربوا من حياتهم أتيح لهم ما لم يُتَح لغيرهم من منابع الصفاء ووسائل الارتقاء.

إن للعظماء إشعاعًا يغمر البيئة التي يظهرون فيها وكما يقترب المصباح الخامد من المصباح المشتعل فيضيء منه تقترب النفوس المعتادة من الفرد الممتاز فتنطوي في مجاله، وتمشي في آثاره! وقد التف بمحمد ﷺ فريق من الربانيين الأتقياء، كانوا له تلاميذ مخلصين، فزكت بصحبته نفوسهم، وشفت طباعهم حتى أشرق عليها من أنوار الإلهام ما جعلها تنطق بالحكمة وفصل الخطاب.

والمرسلون الكرام يتعهدون ضمائر البشر بالتعليم والتربية، وأشبه الناس بهم من اقتفى آثارهم وأخذ في طريقهم، وأول أولئك قاطبة من صحبوهم في حياتهم وقاسموهم أعباء دعوتهم ومغارم جهادهم.

---

(1) انظر شرح هذه الأبيات في «معارج القبول» [٤/ ٢٣٧-٣٢٦].

obeikandl.com

ولا شك أن أصحاب محمد ﷺ يرجحون أصحاب موسى وعيسى فإن تاريخهم في الإيمان والجهاد وإبلاغ الدعوة إلى الأخلاف كاملة مضبوطة غير منقوصة ولا محرفة، لا يشبه أي تاريخ آخر[1].

أيها الإخوة! هذا ملخص اعتقادنا في صحابة نبينا، مَن ضلَّ عنه فقد سقط في مهاوي الانحراف، وتلبس بالبدع المهلكة. فمن قال فيهم غير ما قال الله ورسوله فقد استحق من الله الخزي والخذلان. وهل بعد تزكية الله تزكية؟! وهل بعد ثناء الله ثناء؟! وهل بعد رضا الله عنهم يقال فيهم سوءًا؟! ذاك هو السبيل فتمسك به، وتلك هي العقيدة الصحيحة فعض عليها بالنواجذ وانشرها وعلِّمها وعِشْ عليها حتى تلقى ربك جل جلاله. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك.

رب ألهمنا رشدنا وقنا شر نفوسنا.

* * *

(1) «فقه السيرة» بتصرف واختصار [١٩٨/ ١٩٩] والأخلاف جمع خَلَف.

obeikandl.com